Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمقاطع الصوتية، ولكنه لم ير وراء هذه الألفاظ دلالة تذكر، أو فائدة فى المعنى، فيقول فى تعقيبه على الأبيات[1]: «هذه الألفاظ كما ترى أحسن شىء مخارج ومطالع ومقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادى الرائح ابتدأنا فى الحديث، وسارت المطىُّ فى الأبطح، وهذا الصنف فى الشعر كثير...».

وعندما يتعامل المتلقى ناقدا أو قارئا متذوقا مع لغة النص ومعطياته من خلال مقياس محدد ارتضاه لنفسه، أو استجاب فيه لموقف نفسى أو خارجى ففى هذه الحالة يصبح عطاء النص محدودا بحدود المقياس المسيطر على منافذ التواصل والبث الفكرى بينه وبين المتلقى، وكثيرا ما يترتب على هذه المعيارية الحادة جفاف النبع المتدفق فى قراءة النص أو استقباله، حيث لا يجود النص بحلابه إلا بقدر ما يسمح هذا المعيار.

وابن قتيبة فى رؤيته لأبيات كُثيِّر كان محكوما بالمعيارية التى التزم بها فى قضية «اللفظ والمعنى» فهو يسوى بينهما فى الشعر على أساس أن بلاغة النص كما ترجع إلى الألفاظ فهى ترجع كذلك إلى المعانى؛ فخير أضرب الشعر عنده ماحسن لفظه وجاد معناه[2]. والتسوية بينهما على هذا النحو كادت تنتهى بابن قتيبة فى مجال التطبيق إلى الفصل التام أو الثنائية الحادة بين قيمة الألفاظ وقيمة المعانى؛ حتى بات مفهوم الصورة فى الشعر بعيدا عن رؤيته، وهو يتعامل مع أبيات كُثيِّر. وليس مرد ذلك فى تصورى إلى أن مستوى الإدراك الجمالى عند ابن قتيبة لم ينهض به إلى بلوغ هذا المفهوم، لأنَّا نجد له فى أحكامه التقريرية رؤى متفوقة خرج بها عن المألوف التقليدى فى معاملة النص، وربما لم يسبق إليها فى تاريخ الحركة النقدية، وهذا ما يبدو واضحا فى موقفه من مفهوم الحداثة فى الشعر؛ إذ خرج بهذا المفهوم من دائرة الحرب المعلنة فى رصيدنا النقدى على كل شعر حديث أو شاعر محدث إلى إطار موضوعى يجعل التعامل مع النص بعيدا

(١) الشعر والشعراء ص ٢٢ تحقيق د. مفيد قميحة ونعيم زرزور (بيروت).
(٢) المصدر السابق ص ٢١ - ٢٣ .